﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [التّوبة: 118]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا تابَ على مَن أوشكوا على الزَّيغِ؛ أتبعَهُ بالتَّوبةِ على مَن وقعَ منهُ الزَّيغُ

لمّا ذكرَ اللّه التَّوبةَ في الآية قبلَها على النَّبيِّ ﷺ وصحابتِه الَّذين كانوا معه في ساعةِ العُسْرةِ؛ أتْبعها بذكر التَّوبةِ على مَن وقعَ منهم التَّخلُّفُ عن القتالِ، وقد خلَّفَ التَّوبةَ عليهم، فأخبرَ بالتَّوبةِ عنهم في هذهِ الآيةِ[1]، ومن المناسبةِ كذلك أنَّهُ لمّا "تقدَّم الكلامُ في أحوال المنافقين مِن تخلُّفهم عن غزوةِ تبوكَ، واستطردَ إلى تقسيمِ المنافقين إلى أعرابٍ وغيرِهم، وذِكْرِ ما فعلوا من مسجد الضِّرارِ، وذكْرِ مبايعةِ المؤمنينَ اللّه في الجهادِ، وأثنى عليهم، وأنَّه ينبغي أنْ يُباينوا المشركين حتَّى الّذين ماتوا منهم بترك الاستغفارِ لهم؛ عادَ إلى ذكرِ ما بَقِيَ من أحوالِ غزوة تبوكَ، وهذه شنشنةُ كلامِ العربِ، يَشرعون في شيءٍ، ثمَّ يذكرون بعدَه أشياءَ مناسبةً، ويُطيلونَ فيها، ثمَّ يعودونَ إلى ذلك الشَّيءِ الَّذي كانوا شرعوا فيه"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿خُلِّفُواْ﴾: (خلف) أصلٌ يدلُّ على مجيء شيءٍ بعد شيءٍ يقوم مقامَهُ[3]، وخلافُه قُدّام، وخَلَّفْتُهُ: تركتُهُ خلفي[4]. ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾، تُركوا، وأُخِّروا عن قبولِ التَّوبة[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/38.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/516.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خلف).
(4) الرّاغب، المفردات، والفيروزاباديّ، بصائر ذوي التمييز: (خلف).
(5) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/94.

2) ﴿ضَاقَتْ﴾: (ضيق) أصلٌ يدُلُّ على خلافِ السَّعَةِ[1]، يُستعمل في الفقرِ والبخلِ والغمِّ، وسوءِ الحالِ، قال تعالى: ﴿وَضَآيِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12]، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التّوبة: 25]، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ كلُّ ذلك عبارةٌ عن الحزنِ[2].

3) ﴿رَحُبَتْ﴾: (رحب) أَصْلٌ يَدُلُّ على السَّعَةِ، الرُّحْبُ: سعةُ المكان[3]، الرَّحْبُ والرَّحيبُ: الشَّيءُ الواسعُ، وفصَّل الجوهريُّ بأنَّ: "الرُّحْبَ بالضَّمِّ: السَّعَةُ، تقولُ منه: فُلانٌ رُحْبُ الصَّدْرِ، والرَّحْبُ، بالفتحِ: الواسِعُ، تقول منهُ: بلدٌ رَحْبٌ وأرضٌ رَحْبَةٌ"[4]، و"الرَّحبةُ بتسكين الْحاءِ وفتْحِها: الفجوةُ الواسعةُ بَين دورٍ وغَيرها"[5]، ورَحَبَةُ المساجدِ - بفتح الحاء وتسكينها -: ساحاتُها[6]، وتقول منه: بلد رَحْبٌ ، وأَرضٌ رَحْبةٌ[7].

4) ﴿مَلْجَأَ﴾: (لجأ) أصلٌ، وهو كَلِمَةٌ واحِدَةٌ: اللَّجَأُ والْمَلْجَأُ: الْمَكانُ يُلْتَجَأُ إِلَيْهِ[8]، قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ [الشّورى: 47] الملجأُ: المَعْقِلُ، وهو ما يُتَحصَّنُ بِهِ قلعةً ونحوها[9]، يُقالُ: لَجَأْتُ إلى فُلانٍ، والْتَجَأْتُ: استندْتُ إليه واعتضدْتُ بِهِ[10]، وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ "الملجأ: المعتصمُ من الله وعذابه"[11].

5) ﴿تَابَ﴾: (تاب) أصلٌ يدُلُّ على الرُّجوعِ، يُقالُ: تابَ مِنْ ذَنْبِهِ، أَيْ: رَجَعَ عَنْهُ، وهو تائِبٌ وتَوّابٌ[12]، وتابَ اللّه عليه: وفَّقَه للتَّوبةِ، وقَبِل توبتَهُ، أو رجَعَ به من التَّشْديد إلى التَّخْفيفِ، أو رَجَعَ عليه بِفَضْلِهِ وقبوله، وهو تَوّابٌ على عبادِه، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾، والتّائبُ يقال لباذل التَّوبةِ ولقابل التَّوبة، فالعبدُ تائبٌ إلى اللّه، واللّه تائبٌ على عبدِه، والتَّوّاب: العبدُ الكثيرُ التَّوبة، ويقال ذلك للّه تعالى لكثرة قبولِهِ توبةَ العبادِ حالًا بعد حالٍ[13].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ضيق).
(2) الرّاغب، المفردات، والجوهريّ، الصّحاح: (ضيق).
(3) ابن دريد، جمهرة اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (رحب).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (رحب).
(5) ابن دريد، جمهرة اللُّغة: (رحب).
(6) الخليل، العين: (رحب).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (رحب).
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (لجأ).
(9) السّمين، العمدة: (لجأ).
(10) ابن منظور، لسان العرب: (لجأ).
(11) ابن الجوزيّ، تذكرة الأريب، ص: 148.
(12) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (توب).
(13) الرّاغب، المفردات: (توب).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا يردُّ الله تعالى مَـن يلجأُ إليهِ بالتَّوبةِ الصّادقةِ

يُخبر الله تعالى أنَّه قد تفضَّل "بالعفو عن الرِّجالِ الثَّلاثةِ الذين تخلَّفوا عن الخروجِ في غزوةِ تبوك، لا عن نفاقٍ منهم، وكان أمرُهم مُرْجَأً إلى أنْ يُبَيِّنَ الله حُكمَهُ فيهم، فلمّا كانت توبتُهم خالصةً، وندمُهم شديدًا؛ حتَّى شعروا بأنَّ الأرضَ قد ضاقتْ عليهم على رحْبِها وسَعتِها، وضاقت عليهم نفوسُهم همًّا وحزنًا، وعلموا أنَّه لا مَلجأَ مِن غضبِ الله إلّا باستغفارِهِ والرُّجوعِ إليهِ، حينئذٍ هداهم الله إلى التَّوبة، وعفا عنهم، ليظلّوا عليها، إنَّ الله كثيرُ القبولِ لتوبة التّائبين، عظيمُ الرَّحمةِ بعبادِهِ"[1].

وسببُ نزولِ الآيةِ أنَّه ثبتَ في الصَّحيح ما يُبَيِّنُ حادثةَ الثَّلاثةِ الذين خُلِّفوا، فقد حكاها كعبُ ابن مالكٍ، وهو أحدُ الثَّلاثةِ، ومعه مرارةُ بن الرَّبيع، وهلالُ بنُ أميَّةَ الواقفيّ، في حديثٍ مُطوَّلٍ مُخرَّجٍ في الصَّحاح[2]، حين تخلَّفَ عن غزوةِ تبوكَ، وأنزل الله ﷻ على رسولِهِ ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: 117]، إلى قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الواوِ في: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾:

تكريمُ الصّادقين بالنَّدمِ بتوبةِ الله عليهم

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ معطوفٌ على النَّبيِّ ﷺ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [التّوبة: 117]، أي: "لقد تقبَّلَ الله تعالى بفضلِهِ وإحسانه توبةَ النَّبيِّ والمهاجرين والأنصارِ، وتقبَّلَ كذلك توبةَ الثَّلاثةِ الَّذين تخلَّفوا عن هذهِ الغزوة كسلًا وحبًّا للرّاحة"[3]، وفي هذا العطفِ فائدةٌ تتمثَّلُ بتكريمِ المذكورين في

(1) مجموعة من المؤلّفين، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 281.
(2) البخاريّ، الجامع الصحيح، الحديث رقم: (4418)، ومسلم، صحيح مسلم، الحديث رقم: (2769)، ويُنظر: الزينيّ، المحرّر في أسباب نزول القرآن: 1/615.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 6/421.

الجملة المعطوفة، فقد تبيَّن أنَّ "مَن ضُمَّ ذكرُ توبته إلى توبةِ النَّبيِّ ﷺ، كان ذلك دليلًا على تعظيمهِ وإجلالهِ، وهذا العطفُ يوجِبُ أن يكونَ قبولُ توبةِ النَّبيِّ ﷺ، وتوبةِ المهاجرين والأنصارِ في حكمٍ واحدٍ، وذلك يوجِبُ إعلاءَ شأنِهم وكَوْنَهم مُسْتَحِقِّين لذلك"[1].

سرُّ إعادةِ حرفِ الجرِّ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾:

جاء العطفُ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ بإعادةِ حرفِ الجرِّ، ولم يقل: (والثَّلاثة)؛ لأنَّ المعطوفَ عليه - وهو لفظُ ﴿ٱلنَّبِيِّ﴾ [التّوبة: 117] - ذُكِرَ في صدرِ الآية السّابقةِ، فلمّا طالَ الفاصلُ؛ أعادَ حرفَ الجرِّ مع حرفِ العطفِ[2]، كما أنَّ في إعادة حرفِ الجرِّ تأكيدًا على مشاركةِ المعطوفِ بحكمِ المعطوفِ عليهِ على التَّساوي، وأنَّ التَّوبةَ عليهم مُتَحَقِّقَةٌ، حتَّى لو لم يكنْ هناك معطوفٌ عليه لجدارتِهم بذلك واستحقاقِهم له.

لمّا بَعُد المعطوفُ عليهِ؛ كرَّرَ حرفَ الجرِّ تحقيقًا للبيان وتأكيدًا للاستحقاقِ

معنى اللّامِ في: ﴿ٱلثَّلَٰثَةِ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ عَرَّف ﴿ٱلثَّلَٰثَةِ﴾ تعريفَ "العهدِ؛ فإنَّهم كانوا معروفين بين النّاسِ، وهم: كعبُ بن مالك من بني سلمةَ، ومرارةُ بن الرَّبيع العمريُّ من بني عمرِو بن عوفٍ، وهلالُ بن أميَّةَ الواقفيُّ من بني واقفٍ، كلُّهم من الأنصارِ تخلَّفوا عن غزوةِ تبوكَ بدونِ عذرٍ"[3].

إحالةُ الثَّلاثةِ على معهودٍ عند النّاسِ

نكتةُ عدمِ التَّصريحِ بأسمائِهم:

في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ لم يصرِّحِ النَّظمُ الكريمُ بأسماءِ الثَّلاثةِ، و"إنَّما لم يسمِّهمُ اللّه؛ لكونهم معلومين بين الصَّحابةِ"[4]، ويُزادُ على ذلك أنَّ الثَّلاثةَ المذكورين قد عَلِم اللّه

مِن إكرامِ التّائبِ الإعـــراضُ عـن التَّشهيرِ بهِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/164.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/51.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/51.
(4) الصّاويّ، حاشية الصّاويّ: 2/161.

تعالى صدقَهم، وأنَّهم من عبادِهِ الصّالحين، فلم يذكر في كتابِهِ عنهم ما مِن شأنِهِ أنْ يُلحِقَ بهم الحزنَ؛ فلم يصرِّحْ بأسمائِهم لطفًا بهِم؛ إذ إنَّ الفعلَ السَّيِّئَ لا يسرُّ صاحبَه أنْ يُذكَّرَ به، فأعرضَ عن ذلك لطفًا بهم وإكرامًا لهم.

سرُّ الوصفِ بالاسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

عبَّر النَّظمُ الكريمُ عنهم بالاسمِ الموصولِ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾؛ لأنَّهم نفرٌ معروفون معهودون، عُرِفوا، وشُهروا بالصِّفةِ المعبَّرِ عنها في الصِّلةِ؛ تخصيصًا لهم دونَ غيرِهم، وإظهارًا لصفتِهم في الصِّلةِ ليبيِّنَ أنَّ حكمَ التَّوبةِ شاملٌ لهؤلاءِ الذين أُرجئَ الحكمُ عليهم، فعيَّنهُم بالذِّكر والوصفِ المعهودِ تأكيدًا للتَّوبةِ عليهم، وإشارةً إلى عِلَّةِ التَّخلُّف الذي بُني عليها محاسَبَتُهم.

عُيِّنوا بالذِّكر والوصفِ المعهودِ تأكيدًا للتَّوبة عليهم

علَّةُ التَّعبيرِ بالفعلِ الماضي المبني للمفعول:

في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ جاء الفعلُ في صلةِ الموصول فعلًا ماضيًا مبنيًّا للمفعول ﴿خُلِّفُواْ﴾، ولم يقل: تخلَّفوا؛ لأنَّهُ وقعَ في وقتٍ قد مضى، وانقطع، وأنَّ إرجاءَهم كان واقعًا، "ولمّا كان الخلعُ للقلوب مُطْلَقَ التَّخليف، بُني للمفعولِ قوله تعالى: ﴿خُلِّفُواْ﴾ أي: خَلَّفهم رسولُ الله ﷺ بالهجرانِ، ونهى النّاسَ عن كلامِهم، وأخَّرَ الحكمَ فيهم؛ ليأتيَ أمرُ الله في بيان أمرِهم"[1]، فالَّذي وقع بهم من الأذى بالإرجاءِ وتأخيرِ التَّوبةِ كان بالغَ الأذى لذاتِهِ لا بكونِه مِن معيَّنٍ، فبناهُ للمفعولِ، كما أنَّ حذفَ الفاعلِ فيهِ إيجازٌ في التَّعبيرِ اعتمادًا على ظهورِهِ والعلم بهِ.

ما وقعَ عليهم من الأذى بالإرجاءِ وتأخيرِ التَّوبةِ كان بالغَ الأذى لذاتِهِ لا بكونِهِ من مُعيَّنٍ

معنى ﴿خُلِّفُواْ﴾: خلَّفهم مُخَلِّفٌ، أي: تركهم وراءَه، وهم لم يُخَلِّفْهم أحدٌ، وإنَّما تخلَّفوا بفعلِ أنفسِهم، فيجوزُ أن يكون ﴿خُلِّفُواْ﴾ بمعنى: خلَّفوا أنفُسَهم على طريقةِ التَّجريدِ، ويجوزُ أنْ يكون

بناءُ الفعلِ للمفعولِ تجريدٌ، أو تخليفٌ مجازيٌّ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/39.

تخليفُهم تخليفًا مجازيًّا اُستعيرَ لتأخيرِ البتِّ في شأنِهم، أي: الَّذين خُلِّفوا عن القضاءِ في شأنِهم، فلم يعذرْهم رسولُ اللّه ﷺ ولا آيسَهم من التَّوبةِ، كما آيسَ المنافقين، فالتَّخليفُ هنا بمعنى الإرجاءِ، وبهذا التَّفسيرِ فسَّرهُ كعبُ بن مالك في حديثِه المرويِّ في (الصحيح)، حيث قال: «وليس الَّذي ذكرَ اللّه ممّا خُلِّفْنا عن الغزوِ، وإنَّما تَخْليفُهُ إيّانا، وإرْجاؤُهُ أمرَنا عمَّن حَلفَ لهُ، واعتذرَ إليهِ، فقُبِلَ منهُ»[1]، وفاعلُ التَّخليفِ يجوزُ أنْ يُرادَ بهِ النَّبيُّ ﷺ أو اللّه تعالى[2].

لـم يـكـونـوا عـازمـيـنَ على التَّخلُّفِ ابتداءً، وإنَّما آلَ أمرُهم إليهِ

وعبَّر اللّه تعالى بالبناءِ للمجهولِ، ولم ينْسِب إليهم أنَّهم تخلَّفوا، بل لم يذكر مَنْ خَلَّفَهُم، وإنَّما الواقع أنَّهم ما أرادوا القُعودَ ابتداءً، من وصفِ حالهم أنَّهم تباطؤوا، وأخذوا يؤجِّلون يومًا بعد يوم، حتَّى فاتهم الرَّكبُ، فهم خُلِّفوا، ولم يريدوا التَّخلُّفَ ابتداءً، ولكن آلَ أمرُهم إلى التَّخلُّف[3].

دلالةُ إسنادِ التَّخليفِ إلى الضَّميرِ:

يتعلَّقُ التَّخليفُ بـبـيـانِ حـكـمِ توبتِهم

في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ أسندَ التَّخليفَ إلى الضَّميرِ العائدِ على ﴿ٱلثَّلَٰثَةِ﴾ "وتعليقُ التَّخليف بضميرِ الثَّلاثة من باب تعليقِ الحكمِ باسم الذّاتِ، والمرادُ: تعليقُهُ بحالٍ من أحوالِها يُعلمُ من السِّياق، مثل ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: 3]"[4]، أي: حرَّمَ أكلَها، كما أنَّ التَّخليفَ يتعلَّقُ ببيانِ حكمِ توبتِهم، وليس مُتَعَلِّقًا بذواتِهم.

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾:

استمرَّ الإرجاءُ والتَّخليفُ حتَّى وقعَ الضِّيقُ

عبَّر النَّظمُ الكريمُ عن طولِ مدَّةِ الإرجاءِ والتَّخليفِ بـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾، فهو قد استمرَّ

(1) البخاري، الصَّحيح، الحديث رقم: (2606).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/52.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3469.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/52.

حتَّى وقع الضِّيقُ[1]، فقوله جلَّ شأنُهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ غايةٌ للتَّخليفِ، وهذا يدلُّ على أنَّ المرادَ من قوله تعالى: ﴿خُلِّفُواْ﴾ تأخيرُ أمرِهم بالتَّوبةِ لا تخلُّفهم عن القتالِ، أي: "خُلِّفوا، وأُخِّر أمرُهم إلى أن ضاقت عليهم الأرضُ"[2]. فضيقُ الأرضِ والنُّفوسِ هو غايةٌ لإرجاءِ أمرِهم، فالضِّيقُ لم يكن عن تخلُّفِهم عن الغزوِ، وإنَّما ضاقت عليهم الأرضُ بسببِ تَخْليفِهم عن قَبولِ العذرِ ومقاطعتِهم[3].

علَّةُ التَّعبيرِ بـ ﴿إِذَا﴾:

خُلِّفوا إلى وقتِ الضِّيقِ ثمَّ تابَ اللهُ تعالى عليهم

في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ يجوزُ في ﴿إِذَا﴾ أن تكونَ شرطيَّةً، وأن تكونَ مجرَّدةً من الشَّرطِ دالَّةً على الوقتِ[4]، فإذا كانت شرطيَّةً؛ فإنَّ جوابَها محذوفٌ، تقديرُه: تابَ عليهم، وإذا جُعِلت مجرَّدةً من الشَّرطِ لمجيئِها مقترنةً بـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾، فإنَّها غيرُ لازمةٍ للجوابِ، وتكونُ غايةً للفعلِ الَّذي جاءَ قبلَها، وهو قوله: ﴿خُلِّفُواْ﴾، والمعنى: أنَّهم خُلِّفوا إلى هذا الوقتِ، ثمَّ تابَ اللهُ تعالى عليهم[5].

سرُّ التَّعبيرِ بالمجازِ في: ﴿ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾:

بضيقِ الأرضِ مع سَعتِها ينتفي هناءُ العيشِ

في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ عبَّرَ عن سوءِ حالِهم بضيقِ الأرضِ، والأرضُ مستقرَّةٌ لا تضيقُ، وإنَّما هو تعبيرٌ مجازيٌّ عن انتفاءِ هناءِ العيشِ عنهم، فهو مثلٌ يبيِّنُ شدَّةَ الحيرةِ الَّتي كانوا فيها[6]؛ لأنَّ المكانَ الضَّيِّقَ لا يَسَعُ أن يكونَ مقرًّا لأحدٍ، فالمرادُ مجازًا أنَّهم لم يَقَرّوا في الدُّنيا مع سَعتِها؛ لإعراضِ النَّاسِ عنهم، وعدمِ مجالستِهم ومحادثتِهم ما سبَّبَ لهم من كربٍ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/39.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/109، وابن جزيّ، التّسهيل: 1/350.
(3) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 3/94.
(4) الشّهاب، عناية القاضي: 4/372، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 5/520.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/520.
(6) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/101.

وضيقٍ[1]، "ففي الكلامِ مجازٌ خلاصتُهُ أنَّهم شعروا بضِيقِ النّاسِ بهم لا يُقرِئونَهم سلامًا، ولا يقولون: لهم كلامًا أيًّا كان الكلامُ، لومًا أو عتابًا، أو تقريعًا، أو أيَّ نوعٍ من الكلام يسمعونَ، فعبَّر عن هذا بأنَّ الأرضَ ضاقت بهم مع اتِّساعِها ورَحْبِها"[2].

يحتملُ ضيقُ الأرضِ الاستعارةَ والكنايةَ

يصِحُّ جعلُ (ضِيق الأرض) من باب الاستعارةِ، أي: حتَّى كانت الأرضُ كالضَّيِّقةِ عليهم، أي: عندَهُم، وذلك التَّشبيهُ كنايةٌ عن غمِّهم وعن استيحاشِهم، لتنكُّرِ المسلمين لهم، وإعراضِهم عنهم، ونَبْوَتِهم عن كلامِهم، فالمعنى: أنَّهم تخيَّلوا الأرضَ في أعينِهم كالضَّيِّقةِ، كما قال الطِّرمّاح:

ملأتُ عليهِ الأرضَ حتَّى كأنَّها *** مِنَ الضِّيقِ في عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حابِلِ[3].

سرُّ إيثارِ التَّعبيرِ بـ ﴿عَلَيْهِمُ﴾:

تمكُّنُ الضِّيقِ منهم حتَّى غَشِيَهم

آثرَ النَّظمُ الكريمُ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ التَّعبيرَ بحرفِ الاستعلاءِ (على) دونَ (الباء) تعظيمًا للأمر[4]، فضِيقُ الأرضِ تَسَلُّطٌ عليهم، وتمكُّنٌ منهم، وحرفُ الاستعلاءِ يدلُّ على الكُلْفَةِ والشِّدَّة، ولو قال: (بهم)؛ لكانَ المعنى: أنَّ الضِّيقَ وقعَ ملابِسًا لهم.

سرُّ تقديمِ المجرورِ على الفاعل:

تَقديمُ من وقع عليه الضِّيقُ اهتمامًا بشأنه

قدَّمَ النَّظمُ الكريمُ الجارَّ والمجرورَ على الفاعلِ في قوله تعالى: ﴿ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾، ولم يقل: (ضاقت الأرضُ عليهم)؛ اهتمامًا بشأنِ مَن وقعَ الضِّيقُ عليه أكثرَ من الاهتمامِ بما ضاقَ، وذلك للمبالغةِ في شأنِ الضِّيقِ الَّذي وقعَ عليهِم.

(1) الشّهاب، عناية القاضي: 4/372.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3470.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/520، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/53، ويُنظر: ديوان الطّرمّاح، ص: 208.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/39.

معنى اللّامِ في ﴿ٱلۡأَرۡضُ﴾:

الشُّعورُ بضيقِ كلِّ الأرضِ يزيدُ صعوبةَ الحالِ

في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ عرَّفَ ﴿ٱلۡأَرۡضُ﴾ بالألفِ واللّامِ الدّالَّةِ على العهدِ، فالمرادُ أنَّ الأرضَ كلَّها ضاقت عليهم[1]، وفي ذلك بيانٌ لشدَّةِ الضِّيقِ الَّذي كانوا فيهِ، فلم يكن لهم في هذهِ الأرضِ الواسعةِ ملجأٌ يفِرّونَ إليهِ، وفي ذلك إشارةٌ إلى قوَّةِ إيمانِهم وشدَّةِ ثباتِهم؛ إذ لم يشعروا أنَّ لهم في الأرض الواسعةِ مهرَبًا من اللّه تعالى.

موقعُ: ﴿بِمَا رَحُبَتۡ﴾ ودلالتهُ:

اشتدَّ غمُّهم حتَّى إنَّ الأرضَ ضاقت، والحالُ أنَّها واسعةٌ رَحْبةٌ

قوله تعالى: ﴿بِمَا رَحُبَتۡ﴾ في موضعِ الحالِ من الأرضِ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾، أي: تخيَّلوا الأرضَ ضيِّقةً، وهي الأرضُ الموصوفةُ بسَعتِها المعروفةِ[2]، فهي مع سَعتِها قد خَلَتْ من مكانٍ يفِرّون إليه لشدَّةِ قلقِهم وجَزَعِهم ممّا هم فيهِ[3].

دلالةُ الباءِ في: ﴿بِمَا﴾ ومعنى (ما):

الأرضُ على رحابتِها ضاقتْ عليهم

لفظةُ (ما) في قوله تعالى: ﴿ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ مصدريَّةٌ لا موصولةٌ، أي: برحْبِها[4]، وعبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بـ (ما) المصدريَّةِ؛ للدَّلالةِ على سَعةِ الأرض، وتدلُّ الباءُ على الملابَسةِ[5]، فهي الأرضُ المُلابِسَةُ لِسعَتِها المَعْروفَةِ، فالأرضُ على ما هي في نفسِها رحْبةٌ واسعةٌ، ومع ذلك ضاقتْ عليهم[6].

دلالةُ العطفِ في: ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾:

عَطْفُ ضيقِ الأنفسِ على ضيقِ الأرضِ يحيلُ على المجازِ دونَ الحقيقةِ

عُطِفَ قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ على قوله تعالى:

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/39.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/53.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/318، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/109.
(4) القونوي وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 9/359.
(5) الشّهاب، عناية القاضي: 4/372.
(6) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 3/94، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/53.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾، فلمّا بيَّنَ ضِيقَ الأرضِ عليهم لِما حلَّ بهم من الكربِ بالمقاطعة؛ بيَّن شدَّةَ ذلك الكربِ بأنَّ الضِّيقَ طغى عليهم؛ حتَّى تغلغلَ إلى قلوبِهم، كما أنَّه يبيِّنُ أنَّ المرادَ من ضِيقِ الأرضِ المجازُ دونَ الحقيقةِ[1].

بلاغةُ التَّعبيرِ المجازيِّ في ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾:

استعارَ الغمَّ والحزنَ لضِيقِ أنفسِهم

قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ استعارةٌ عن امتلاءِ النُّفوسِ والقلوبِ بالغمِّ والهمِّ[2]، وإنَّما حدثَ ذلك الضِّيقُ بسببِ الهمِّ والغمِّ لمقاطعةِ النّاسِ لهم، ومجانبةِ الأحبّاءِ، وما حدث لهم من الوحشةِ، ونظرِ النّاسِ لهم بعينِ الإهانةِ[3]، "ومعنى ضِيقها: شدَّةُ غمِّها وحزنِها، كأنَّها لا تسع السَّرورَ لضيقِها، فهو استعارةٌ في الضِّيق"[4]، فاستعارَ الضِّيقَ لشدَّةِ الهمِّ، فشبَّهَ امتلاءَ قلوبِهم غمًّا بالمكانِ الَّذي يمتلِئُ حتَّى يضيقَ بمن فيه، فلا يتَّسعُ لغيرِه، وحذفَ المشبَّهَ به، وأبقى قرينةَ الضِّيقِ، والجامعُ بينهما الامتلاءُ، فكذلك القلبُ يمتلِئُ بالغمِّ حتَّى لا يتَّسعَ للسُّرورِ، واستعارةُ الغمِّ والحزنِ لضيقِ أنفسِهم؛ لأنَّ الغمَّ يكونُ في النَّفس بمنزلةِ الضِّيق، ولذلك يُقالُ للمحزونِ: ضاقَ صدرُهُ، وللمسرور: شُرِحَ صدرُهُ[5]، ويحتمل الضِّيقَ فضلًا عن فرطِ الغمِّ، والاستعارةُ عن شدَّةِ الحيرةِ[6].

الآيةُ كنايةٌ عن تواترِ الغمِّ والهمِّ

ويحتملُ الكنايةَ عن تواترِ الهمِّ والغمِّ على قلوبِهم، حتَّى لم يكن فيها شيءٌ من الانشراحِ والاتِّساع[7].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/39.
(2) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 3/94.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/318، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/165.
(4) الشّهاب، عناية القاضي: 4/372.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/53.
(6) القونوي وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 9/360.
(7) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/520.

سرُّ تقديمِ المجرورِ على الفاعل:

التَّقديمُ يُفصحُ عن شدَّةِ الضِّيقِ والكربِ الَّذي هم فيهِ

في قوله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ قدَّم النَّظمُ الجليلُ شبهَ الجملةِ من الجارِّ والمجرورِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على الفاعل ﴿أَنفُسُهُمْ﴾، ولم يقل: (ضاقت أنفسُهم عليهم)؛ اهتمامًا بكونِ ضيقِ الأنفسِ وقعَ عليهم، تعجيلًا ببيانِ تعلُّقِ الضِّيقِ بهم، فتبيَّنَ أنَّ وقوعَ الضِّيقِ عليهم أهمُّ في السِّياق من بيان فاعل الضِّيقِ، وهذا يفصحُ عن شدَّةِ ذلك الضِّيقِ.

سرُّ التَّرقِّي في التَّعبيرِ من ضِيقِ الأرضِ إلى ضِيقِ الأنفس:

بدايَةُ الضِّيقِ من المحلِّ، وانتهاؤه بالاستقرارِ في الأنفسِ

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ جمعَ بين ضِيقِ الأرضِ وضِيقِ الأنفسِ، "وفيهِ ترقٍّ من ضِيقِ الأرضِ إلى ضِيقِهم في أنفسِهم، وهو في غاية البلاغة"[1]، فابتدأَ بالضِّيقِ الأخفِّ، وأَتْبَعَهُ بالأشدِّ؛ لأنَّ "ضِيقَ المحلِّ قد لا يستلزمُ ضِيقَ الصَّدرِ"[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾:

يعبِّرُ عن اليقينِ في الخوفِ والحيرةِ بالظَّنِّ

دلَّ فعلُ الظَّنِّ في قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ على اليقينِ والعلم، أي: أيقنوا، وحصل علمٌ لهم[3]، و"عَبَّر بالظَّنِّ إيذانًا بأنَّهم لشدَّةِ الحيرةِ كانت قلوبُهم لا تستقرُّ على حالٍ، فكان يقينُهم لشدَّةِ الخواطرِ، كأنَّهُ ظنٌّ، أو يُقال - وهو حسن -: إنَّ التَّعبيرَ به عن يقينِ المخلصين إشارةٌ إلى أنَّ أعلى اليقينِ في التَّوحيدِ لا يبلُغُ الحقيقةَ على ما هي عليهِ ألّا يَقدرَ أحدٌ أن يُقدِّرَ لله حقَّ قدرِهِ"[4].

الظَّنُّ كافٍ في التَّوجُّهَ إلى الله تعالى

فُسِّرَ الظَّنُّ بالعلمِ؛ إذ حالُ المُسلمينَ العلمُ بذلكَ لا الظَّنُّ، وإنَّما

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 5/520، والشّهاب، عناية القاضي: 4/372.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/39.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/94.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/39 - 40.

عُبِّرَ به للإشعارِ بأنَّ الظَّنَّ كافٍ في التَّوجُّهِ إليهِ تعالى فما ظنُّكَ بالعلمِ اليقينيِّ[1]، أي: "يكفي في الخوفِ من جلالهِ للانقطاعِ إليهِ مجرَّدُ الظَّنِّ بأنَّهُ لا سببَ إليهِ إلّا منهُ؛ لأنَّهُ مُحيطٌ بكلِّ شيءٍ، لا يُعْجِزُهُ شيءٌ"[2].

الثَّناءُ مَظنَّةُ العلمِ

وحُمِلَ الظَّنُّ على العلم؛ لأنَّهُ تعالى ذكرَ هذا الوصفَ في معرضِ المدحِ والثَّناءِ، وذلك لا يكونُ إلّا مع علمِهم بذلكَ[3].

أمرُ التَّوبةِ موكولٌ إليهِ سبحانه وحدَهُ

واستعمالُ الظَّنِّ بمعنى اليقينِ والجزمِ - وهو من معانيهِ الحقيقيَّةِ - ليقينِهم أنَّ أمرَ التَّوبةِ عليهم موكولٌ إلى اللهِ دونَ غيرهِ بما يوحي بهِ إلى رسولهِ ﷺ أي: التجِئوا إلى اللهِ دونَ غيرهِ، ومنهُ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: 46]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف: 66][4].

بلاغةُ الكنايةِ في لفظِ (الظَّنِّ):

حملُ الظَّنِّ على اليقينِ أمارةُ توبتِهم

وإيكالُ المُخلّفين الثلاثةِ أمرَ العفوِ عنهم، والتَّوبةَ عليهم إلى اللهِ سبحانه ويقينُهم بذلك، وجزمُهم بهِ باللُّجوءِ إليهِ تعالى دونَ غيرهِ، كنايةٌ عن أنَّهم تابوا إلى اللهِ، وترقَّبوا صفحَهُ، وانتظروا عفوَهُ[5].

سرُّ التَّعبيرِ بـ(لا) النّافيةِ للجنسِ:

ينتفي كلُّ ملجأٍ مِن دونِ اللهِ

في قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ عن انتفاءِ وجودِ الملجَأِ من اللهِ سبحانه بلا النّافيةِ للجنسِ؛ للدَّلالةِ على انتفاءِ جنسِ ما يُلجأُ إليهِ فِرارًا من اللهِ تعالى مبالَغةً في النَّفي.

(1) القونوي وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 9/360.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/39 - 40.
(3) الخلوتيّ، روح البيان: 3/527.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/53.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/53.

سرُّ إيثارِ التَّعبيرِ بـ ﴿مَلْجَأَ﴾:

حين يَدْلَهِمُّ الخطرُ فالملجأ أحصنُ من الفرارِ

آثرَ النَّظمُ الكريمُ في قوله جلَّ شأنُهُ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ أن يعبِّرَ بالملجأِ دونَ المفرِّ؛ لأنَّ الملجأَ أدلُّ على الحمايةِ من المفرِّ، فالملجأُ هو "المُعتَصمُ من الله وعذابِه"[1]، وهذا أنسبُ للسِّياق؛ لأنَّ الفِرارَ لا يدلُّ على التَّحصُّن، فيتحقَّقُ الأمنُ بمجرَّدِ البُعد عن مَكْمَنِ الخطر، أمّا اللُّجوءُ؛ فإنَّه يكونُ إلى حصنٍ منيعٍ؛ لأنَّ الخطرَ أشدُّ، وهذا أنسبُ في التَّعبيرِ عن عظيمِ ما كانوا فيهِ من الكَرْبِ.

معنى التَّعبيرِ بالاسمِ الجليلِ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾:

لا مفرَّ من العظيمِ الَّذي لهُ الإحاطةُ بكلِّ شيءٍ

في قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ عبَّرَ عن يقينِهم بانتفاءِ وجودِ ملجأٍ من الله "الَّذي له الإحاطةُ الكاملةُ"[2]، إيماءً إلى انتفاءِ ذلك الملجأِ على وجهِ القطعِ؛ إذ لا مكانَ يخرجُ عن إحاطةِ الله تعالى ويشيرُ إلى أنَّهم قد استحضروا جلالَ الله تعالى وعظمتَهُ خوفًا منهُ ومعرفةً بهِ، أنَّهم قد بلغوا في ذلك مرحلةَ اليقينِ.

ما دلالةُ ﴿إِلَّآ إِلَيْهِ﴾؟

إنَّما يُلجأ إلى اللهِ تعالى بالعملِ بما يُرضيهِ

في قوله جلَّ شأنُهُ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ تعلَّقَ شبهُ الجملةِ ﴿إِلَيْهِ﴾ باللُّجوءِ من الله تعالى وهذا يدلُّ على العملِ بما يُرضيه، ويأمرُ به[3]؛ إذ لا يُلجأ إلى الله تعالى كما يلجأُ أحدٌ إلى مكانٍ يُعتصَمُ بهِ، بل يُلجأ إليهِ تعالى بالتَّوبةِ إليهِ والاستغفارِ والعملِ الصّالحِ، فعلموا أن لا مفرَّ من الله تعالى إلّا بالرُّكونِ إلى شريعتهِ وتعاليمِهِ.

سرُّ التَّعبيرِ بأسلوبِ القصرِ بطريقِ النَّفي والاستثناءِ:

في القصرِ تأكيدٌ لمعنى علمِهم بأن لا ملجأَ لهم إلّا الله

يُستعمَلُ القصرُ بالنَّفي والاستثناءِ في قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ في حُكْمٍ من شأنِهِ "أن يجهلَه المخاطبُ،

(1) ابن الجوزيّ، تذكرة الأريب، ص: 148.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/40.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/40.

ويُنْكِرُهُ، ويحتاجُ فيهِ إلى تأكيدٍ، أو في حُكْمٍ مِن شأنِه ألّا يُجهلَ ولا يُنكرَ، ولكن نزل منزلةَ ما يُجهلُ، ويُنكرُ لنكتةٍ"[1]، فلمّا كان قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ هو الصِّفةُ الثّالثةُ الواقعةُ في حيِّزِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ﴾؛ فأشعرت الغايةُ في الآيةِ بأنَّهم حين ارتكبوا ذلك كانوا في حكم مَن يجهلُ انتفاءَ وجودِ ملجأٍ من الله تعالى وفي هذا القصرِ تأكيدٌ للمعنى، فقصرُ الصِّفةِ على الموصوف قصرٌ حقيقيٌّ؛ لأنَّ انتفاءَ وجودِ ملجأٍ يعصمُ من الله تعالى انتفاءٌ لا يُنتقضُ بوجودِ ملجأٍ إلى غيرِه.

سرُّ ترتيبِ الجملِ في حيِّزِ ﴿إِذَا﴾:

بـدأَ بالشَّديدِ وأتبعَهُ بالأشَدِّ

في قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ انتظمتْ ثلاثُ جملٍ واقعةٍ في حيِّزِ ﴿إِذَا﴾، وقد جاءت "في غاية الحُسن والتَّرتيب، فذكرَ أوَّلًا ضيقَ الأرضِ عليهم، وهو كنايةٌ عن استيحاشِهم، ونَبْوَةِ النّاسِ عن كلامِهم، وثانيًا: وضاقت عليهم أنفسُهم، وهو كنايةٌ عن تواترِ الهمِّ والغمِّ على قلوبِهم، حتَّى لم يكن فيها شيءٌ من الانشراحِ والاتِّساع، فذكر أوَّلًا ضيقَ المحلِّ، ثمَّ ثانيًا ضيقَ الحالِّ فيه؛ لأنَّهُ قد يضيقُ المحلُّ، وتكونُ النَّفسُ منشرحةً، فسَمُّ الخِياط مع المحبوب ميدانٌ، ثمَّ ثالثًا لمّا يَئِسوا من الخلقِ عَلَّقوا أمورَهم بالله، وانقطعوا إليه، وعلموا أنَّهُ لا يُخَلِّصُ من الشِّدَّةِ، ولا يُفَرِّجُها إلّا هو تعالى"[2].

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿ثُمَّ﴾:

بعدَ التَّأديبِ الشَّديدِ قَبِل تعالى توبتَهم

عُطفَ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ على قوله: ﴿ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ لبيانِ أنَّ التَّوبةَ جاءت بعد أن مرَّوا بتلكَ الكُرُباتِ، "أي: حتَّى وقع ذلك كلُّهُ، ثمَّ تاب عليهم بعدَهُ، وثُمَّ هنا للمُهلة والتَّراخي

(1) الجناجيّ، البلاغة الصّافية في المعاني والبيان والبديع، ص: 175.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/520.

الزَّمني، وليست للتَّراخي الرُّتبي؛ لأنَّ ما بعدها ليس أرفعَ درجةً ممّا قبلَها بقرينةِ السِّياق"[1]، ومقتضى هذا اللَّفظِ تأخيرُ قبولِ التَّوبةِ[2]؛ لأنَّه قد مضت عليهم خمسونَ ليلةٍ يحسّون بالقطيعةِ، وبعد الخمسين تابَ عليهم بأنْ أمرَ النَّبيَّ والمسلمين ألّا يجافوهم؛ لأنَّهم منهم[3]، فالمغفرةُ والتَّوبةُ لم تقع عَقِبَ ندمِهم وإعلانِهم أنَّهم قد تخلَّوا بلا عذرٍ، بل لبثوا مدَّةً حتَّى نالوا التَّوبةَ، ومن نفائسِ ما قال أئمَّةُ التَّفسيرِ في ذلك ما ذكرهُ البقاعيُّ في دُررِهِ؛ إذ قال: "ولمّا كان ما عملوهُ من التَّخلُّف عن أمر الرَّسول ﷺ عظيمًا بمجرَّدِ المخالفةِ، ثمَّ بتركِ المواساةِ، ثمَّ بالرَّغبةِ عنهُ ﷺ، ثمَّ بأمورٍ عظيمةٍ شديدةِ القبح وخيمةٍ، فكان يَبْعُدُ معه الزِّيادةُ عن رتبة التَّوبةِ، أعلمَ سبحانه أنَّه رقّاهم في رُتَبِ الكمالِ بأن جعل ذلك سببًا لتطهيرهِم من جميع الأدناسِ، وتنقيتِهم من سائرِ الأردانِ المُقْتَضِي لمزيدِ القربِ بالعروجِ في مصاعدِ المعارف، كما أشار إليه قوله ﷺ لكعب رضي الله عنه: «أَبْشِرْ بخيرِ يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتكَ أمُّكَ»[4]، أَتْبَعَ ذلك سبحانه الإعلامَ به بقوله - مشيرًا إلى ما بعدَهُ لولا فضلُ الله - بأداةِ الاستبعادِ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾"[5].

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿تَابَ عَلَيْهِمْ﴾:

رجَعوا إلى الصَّلاحِ فرجَعَ إلى الرِّضوانِ

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ تعبيرٌ عن قبولِهِ توبتَهم، بعد أن ذكر الصِّفاتِ الثَّلاثَ المتقدِّمة (ضيقَ الأرضِ، وضيقَ الأنفسِ، ويقينَهم بانتفاءِ الملجأ من الله) فبَعد أن رجَعوا نادمين من زَيْغِهم إلى سابقِ عهدِهم من الصَّلاحِ والتَّقوى؛ بيَّن رجوعَهُ ﷻ إلى تقبُّلِهم في مَسْلَكِ الصّالحين.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/53.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/166.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3470.
(4) البخاري، الصحيح، حديث رقم: 2606.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/40.

دلالةُ اللامِ في ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾:

في توبتهِ تعالى رحـمـةٌ وتـربـيـةٌ وهدايةٌ

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ أَدْخَلَ اللّام الدّالَّةَ على التَّعليلِ؛ ليدلَّ على علَّةِ توبتهِ عليهم، وهي أن يقلعوا عن الإثم، "أي: تابَ عليهم لأجلِ أن يكفّوا عن المخالفةِ، ويتنزَّهوا عن الذَّنبِ"[1]، فتوبةُ اللّه تعالى عليهِم كما أنَّ فيها رحمةً ولطفًا، فكذلك فيها تربيةٌ وهدايةٌ لهم.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾:

قـبِـلَ توبتَـهـم ليديموا الرُّجوعَ إليهِ ولا يقنطوا

جعل النَّظمُ الكريمُ علَّةَ التَّوبةِ عليهم أن يأتوا بالتَّوبةِ، فقال تعالى: ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾، والمرادُ من ذلك أنَّهم يستمرّون بالتَّوبةِ مهما وقعوا بالذُّنوب، فهو ﷻ قد "رجعَ عليهم بالقبولِ والرَّحمةِ كرَّةً بعد أخرى، ليستقيموا على توبتِهم، ويثبُتوا، وليتوبوا أيضًا فيما يُستقبلُ إن فرَطَت منهم خطيئةٌ، عِلمًا منهم أنَّ اللّه توّابٌ على من تابَ، ولو عادَ في اليوم مئةَ مرَّةٍ"[2]، والتَّعبيرُ عن توبتِهم بالفعلِ المضارع الَّذي دخلت عليهِ اللّامُ التَّعليليَّةُ، يدلُّ على أنَّ تجديدَ توبتِهم هو علَّةُ توبةِ اللّه تعالى عليهم، فاللّه تعالى لطيفٌ بعبادِهِ، أرشدَهم إلى ألّا يتقاعسوا عن الرُّجوعِ إليهِ مهما عَظُمَت ذنوبُهم، واستمرَّت، والمعنى: "قَبِل توبتَهم ليتوبوا في المستقبلِ؛ إذا صدرت منهم هفوةٌ، ولا يقنطوا من كرمهِ"[3]، و"ليدوموا على التَّوبةِ، ولا يراجعوا ما يبطلُها"[4]؛ ليكونوا من التَّوّابين الَّذين يرجِعون إلى اللّه تعالى دائمًا[5]، وتصبح توبتُهم توبةَ رجوعٍ وعودةٍ إلى ما كانوا عليه قبلَ المعصيةِ[6].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/53.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/319.
(3) الشّهاب، عناية القاضي: 4/372 - 373، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/53.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/166.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3471.
(6) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 9/5558.

سرُّ تقديمِ توبةِ الله تعالى على توبةِ العبادِ:

في سياقِ الامتنانِ تُقدَّمُ توبتُه تعالى على عبادِهِ

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ قدَّمَ ذِكْرَ توبتِه تعالى على توبةِ عبادِهِ؛ لأنَّهُ في سياق المنِّ عليهم بالتَّوبةِ، فلمّا "كان هذا القولُ في تعديدِ نِعَمِهِ بدأَ في ترتيبِهِ بالجهةِ الَّتي هي عنِ اللهِ ﷻ ليكونَ ذلك مُنبِّهًا على تلقِّي النِّعمةِ من عندِهِ لا ربَّ غيرُهُ، ولو كان القولُ في تعديدِ ذنبٍ؛ لكان الابتداءُ بالجهةِ الَّتي هي عن المُذْنِبِ، كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصّف: 5]؛ ليكونَ هذا أشدَّ تقريرًا للذَّنب عليهم، وهذا من فصاحةِ القرآنِ وبديعِ نظمِهِ ومُعْجِزِ اتِّساقِهِ"[1].

دلالةُ التَّذييلِ بـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

توبتُهُ تعالى كبيرةٌ، ورحمتُهُ عميمةٌ

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تذييلٌ تعليليٌّ؛ إذ "علَّلَ التَّوبةَ بأمرٍ يعُمُّ غيرَهم ترغيبًا"[2]، فيُفْهَمُ من هذا التَّذييلِ أنَّهُ تعالى إنَّما تابَ عليهم؛ لكونِهِ كثيرَ التَّوبةِ على عبادِهِ، ويقبلُ توبتَهم رحمةً بهم ولطفًا.

سرُّ تأكيدِ التَّذييلِ بـ ﴿إِنَّ﴾ وضميرِ الفصلِ، وتعريفِ الطَّرفين:

الله تعالى وحدَهُ الجديرُ بالمغفرةِ

أكَّدَ النَّظمُ الكريم جملةَ التَّذييلِ في قوله جلَّ شأنُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بالجملةِ الاسميَّةِ، وبتصديرِها بحرفِ التَّأكيدِ ﴿إِنَّ﴾ تأكيدًا لمضمونِ الجملةِ، وتقويةً للخبرِ بتوبتِهِ تعالى على عظيمِ ما قاموا بهِ، وأدخلَ ضميرَ الفصلِ بين المسندِ والمسندِ إليهِ دلالةً على أنَّهُ وحدَهُ التَّوابُ[3]، وهو وحدَهُ تعالى القديرُ بأن يغفرَ لهم لاتِّصافِهِ بكثرةِ التَّوبةِ والرَّحمةِ للعبادِ، وأفادَ تعريفُ طرفي الإسنادِ القصرَ، وهو قصرُ صفةٍ على موصوفٍ قصرًا حقيقيًّا؛ لأنَّ اللهَ تعالى هو

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/94، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/166.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/41.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/41.

التَّوّابُ على وجهِ الحقيقةِ ولا توّابَ غيرُهُ، وأفاد ذلك تقويةَ التَّأكيدِ في الجملةِ، فجاءت على الوجهِ الأكملِ في تقويَةِ المعنى.

دلالةُ التَّصريح بلفظ الجلالةِ:

توبتُهُ تعالى على عبادِهِ من تمامِ كمالِهِ وجلالِهِ وغناهُ

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وضعَ الظّاهرَ مَوْضِعَ المُضْمَرِ، فلم يقل: (إنَّه هو التَّوّاب)؛ تعظيمًا للتَّوبةِ المذكورةِ في سياقِ الامتنانِ بالتَّوبةِ عليهم مع عظيمِ ما جاؤوا بهِ، أي: إنَّ اللهَ ذا الجلالِ والكمالِ هو من تابَ عليهم، فلا بأسَ عليهم بعد ذلك، فوضعَ الظّاهرَ موضعَ المُضْمَرِ مُظهِرًا لفظَ الجلالةِ تحقيقًا للمعنى المذكور.

سرُّ التَّرتيبِ في الاسمينِ الجليلينِ ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

يقبلُ اللهُ تعالى توبةَ العبادِ تفضُّلًا منهُ ولا موجِبَ لذلك عليهِ

قدَّمَ النَّظمُ الكريمُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ صفةَ التَّوبةِ على صفةِ الرَّحمةِ؛ لأنَّ ذِكْرَ "الرَّحيم عقيبَ ذكرِ التَّوّاب، يدلُّ على أنَّ قبولَ التَّوبةِ لأجلِ مَحْضِ الرَّحمةِ والكرمِ، لا لأجلِ الوجوبِ"[1]، فبدأَ ببيانِ أنَّهُ إنَّما قَبِلَ توبتَهم؛ لأنَّه كثيرُ التَّوبةِ على عبادِهِ، وإنَّما كان كذلك؛ لأنَّه رحيمٌ، فقبولُ التَّوبةِ إنَّما هو تفضُّلٌ منه وامتنانٌ مَحْضٌ.

دلالةُ صيغةِ المبالغةِ في: ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

كثُرَت توبتُهُ على عبادِهِ وعَظُمت لعفوِهِ عن كبائرِ ذنوبِهم

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ عبَّرَ بصيغةِ المبالغةِ في ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾ للدَّلالة على كثرةِ توبتِه تعالى على عباده، فـ ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾، أي: المبالغُ في قَبول التَّوبةِ كمًّا وكيفًا على من تابَ، وإن عَظُمَ جُرْمُه، وكثُرت جناياتُه، وتكرَّرت توبتُهُ لِتَكَرُّرِ ذنوبِهِ[2]، كما أنَّ في التَّعبيرِ بـ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الدِّلالةَ على صفةِ الرَّحمةِ العظيمةِ الواسعةِ الَّتي لا تزالُ تنزل على عبادِهِ في كلِّ وقتٍ وحينٍ، ما تُقَوَّمُ به أمورُهم الدِّينيَّةُ والدُّنيويَّةُ[3].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/166.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/41، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/109.
(3) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 354.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الضِّيقُ والحرجُ:

ضِـيـقُ الأرضِ عليهم وضِـيـقُ أنـفسِـهـم، زالا بالتَّوبةِ

الْحَرجُ أشدُّ الضِّيقِ، فهو ضِيقٌ لا منفذَ فِيهِ ولا مخرجَ مِنْهُ، مَأْخوذٌ من الحرجةِ، وهِي الشَّجرُ الملتفُّ حَتَّى لا يُمكن الدُّخولُ فِيهِ، ولا الْخُروج منه، ولِهَذا جاءَ بِمَعْنى الشَّكِّ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ [النساء: 65] أَي: شكًّا؛ لِأَنَّ الشّاكَّ في الْأَمر لا يَنْفَذُ فِيهِ، أمّا الضِّيقُ؛ فيمكنُ أنْ يُتَخَلَّصَ منهُ، وتجدَ له منفذًا، كالتَّخلُّصِ من الذَّنبِ بِالتَّوْبَةِ[1]، ومن هنا كان اختيارُ الضِّيقِ أنسبَ لمقام ما مرَّ بِهِ الثلاثةُ؛ إذ هو ضِيقٌ ما لَبِثَ أن زالَ بالتَّوبةِ.

الظَّنُّ والحُسبانُ:

الظَّنُّ أدلُّ على اليقينِ والعلمِ من الحُسبانِ؛ لأنَّ "الظَّنَّ ضربٌ من الاعتقادِ، وقد يكون حُسبانًا ليس باعتقادٍ، ألا ترى أنَّكَ تقولُ: أَحْسَبُ أنَّ زيدًا قد ماتَ، ولا يجوزُ أن تعتقدَ أنَّه مات مع علمِك بأنَّه حيٌّ"[2]، والحُسْبانُ: أن يُحكمَ لأحدِ النَّقيضين من غيرِ أن يخطُرَ الآخرُ ببالِهِ، ويكونُ بِعَرْضِ أن يعتريه فيه شكٌّ، والظَّنُّ أن يُخْطِرَ النَّقيضيْن ببالِهِ، فيُغَلِّبَ أحدَهما على الآخرِ[3]، ففي الظَّنِّ تغليبٌ، أمّا الحُسبانُ؛ ففيهِ شكٌّ، وتَحريرُ قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾، يُحِيلُ على انتفاءِ وجودِ ملجأٍ يعصِمُ من اللّه تعالى وأنَّ ذلكَ متيقَّنٌ لديهم، أي: إنَّهم اعتقدوا ذلكَ، وتيقَّنوهُ، فجيءَ بالظَّنِّ؛ لأنَّهُ في سياقِ العلمِ واليقينِ.

الظَّـنُّ أدلُّ على اليقينِ والعلمِ من الحسبانِ

الملجأُ والمفرُّ:

الملْجَأُ: المَكانُ يُلْتَجَأُ إِلَيْهِ، قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ [الشورى: 47]، وهو المَعْقِلُ، وما يُتَحصّنُ به، من قلعةٍ ونحوها، يُقالُ: لَجَأْتُ

الملجأُ أخصُّ من المفرِّ لما فيهِ من التَّحصُّنِ

(1) العسكريّ، الفروق اللُّغوية، ص: 305.
(2) العسكريّ، الفروق اللُّغوية، ص: 99.
(3) الرّاغب، المفردات: (حسب).

إلى فُلانٍ، والتَجَأْتُ: استندْتُ إليه، اعتضدْتُ بِهِ[1]، وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾، أي: لا مَفَرَّ، ولا مَهْرَبَ ومَفْزَعَ مِن غضبِ اللّه تعالى إلّا إِلَيْهِ، بالتَّوبةِ إليهِ واستغفارِهِ[2]، أمّا المَفرُّ؛ فهو من (فَرَّ)، وهو أصلٌ يدلُّ على الانكشافِ، وما يقاربُهُ من الكشفِ عن الشَّيءِ، وأصلُ الفَرِّ: الكشفُ عن سنِّ الدّابَّةِ، ويُقالُ: فرَّ عن الحربِ فِرارًا، قال تعالى: ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ﴾ [الشعراء: 21]، والمَفَرُّ: المَوْضِعُ يُفَرُّ إِلَيْهِ، ووقتُه، والفِرارُ نفسُه[3].

فالمَلْجَأُ مكانٌ أو معقِلٌ يتحصَّنُ بِهِ كقلعةٍ، أمّا المفرُّ؛ فهو أعمُّ، فلا يدلُّ على التَّحصُّنِ، بل على مطلقِ الفِرارِ، وممكن أن يقالَ: إنَّ الفرارَ هو السَّعيُ للنَّجاة بالابتعادِ عن الخطر، أمّا المَلْجَأُ؛ فهو التَّحصُّنُ بمكانٍ يوفِّرُ الحمايةَ، ويضمنُ السَّلامةَ، ومن هنا فإنَّ التَّعبيرَ في الآية بالمَلْجَأِ أبلغُ في إظهار خَوْفِهم وقلقِهم؛ إذ إنَّ الخوفَ من اللّه تعالى شديدٌ، ويناسبهُ أن يعبِّرَ عن مكانِ الحمايةِ الأشدِّ في التَّحصُّنِ، وهو المَلْجَأُ دونَ الفِرارِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين، العمدة: (لجأ).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/39، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 5/520.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (فرّ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 18 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-15-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 18 : المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-15-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0758707 بتاريخ 2024/01/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»